قراءة في الجهد القصصي لخدمة السيرة النبوية

الدكتور أحمد طاهر أبو عمر [1]

توطئة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فإن فنّ القصص فنٌّ رائق رفيع، يحقّق التشويق والإمتاع، ويجذب أنظار القارئ إلى الفكرة، والعبرة، وكم يحتاج القارئ في زماننا الذي يحفل بأنواع الألم والمعاناة، إلى جرعة ممتعة تخرجه من جوّه المشحون بأعباء الحياة، وتجعله في تواصل مع الكتاب، في وقت أضعفت فيه التقنيات الحديثة الرغبة في القراءة والبحث.

وفضلاً عما تحققه هذه القصص من التشويق والإمتاع، فإن فنّ القصص وسيلة ناجعة في التعليم والتربية والتوجيه السديد، "ونجد الرسول صلى الله عليه وسلم يتخذ من القصة أسلوباً مهمّاً من أساليب الدعوة، وفوق ذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلقى طلباً من الصحابة وغيرهم بأن يقصّ عليهم[2].

إن البحث في الجانب القصصي، ينطوي على جهد مضنٍ، إذ يحتّم على الباحث قراءة القصة أو الرواية من أولها إلى آخرها، أما البحث في جوانب أخرى فقد لا يستدعي بذل هذا الجهد، حيث يلجأ الباحث فيها إلى دراسة جزئيات بعينها، يلتقطها من عدد من الكتب فيجمعها ويستدل بها ويوازن بينها، أما القصص فتحتاج إلى تحليل في جوانب عدة: لغوية، ونفسية، وفنية، وغير ذلك.

ولقد قررت خوض هذا الغمار، مع ما يكلف من جهد ووقت كبيرين، لأننا بإزاء أحداث ضخمة، لم لا، والإنسانية قد استفاقت على انقلاب في حياتها؛ فقد بزغ نور النبوة، ونزل الإسلام ليحكم الأرض في مواجهة الشرك والجاهلية، فكانت مسيرة حافلة بالأحداث الجسام، منذ مولد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إلى أن لقي ربه راضياً مرضيّاً.

[1] – عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية – مدير تحرير مجلة الفرقان الأردنية.
[2] القصص في الحديث النبوي / دراسة فنية وموضوعية: د. محمد بن حسن الزير، ص: 66.

إن وقائع السيرة النبوية المشرفة، ألهمت الأدباء الكبار لتسجيلها، كلٌّ من زاويته، وكانت زاوية القصة/ الرواية من أجمل ما دُوّن في هذا المجال، لقد حملت التشويق والإمتاع، فضلاً عن تحقيق الفائدة بالعلم بالسيرة المشرفة والمعرفة بأحداثها.

وحسب الدكتور سعد أبو الرضا، فقد "جاءت محاولات الدكتور (نجيب الكيلاني) في التوظيف الروائي لأحداث السيرة النبوية، بعد محاولات قام بها (طه حسين)، الذي كان من أوائل من اتجهوا هذا الاتجاه في (على هامش السيرة)، محقّقاً خصوصية في تبسيط الوقائع وصياغتها بأسلوبه المتميز، الذي يجذب عقل القارئ ووجدانه، مع ما يؤخذ عليه من الاعتماد على الإسرائيليات".[1].

إن القصة التي هي من نوع الفن الأدبي، تتكامل عناصرها بعضها مع بعض، فتنجز ذلك العمل القصصي الرائع، تظهر فيها المشاهد حية، نابضة، وتتسم فيها المواقف بانفعالات خاصة، ونجد فيها الوصف الدقيق للحالة النفسية، ويبدو فيها الصراع بارزاً من البدء إلى المنتهى، منسجماً مع المغزى التام للقصة فتتفاعل معها وجدانيّاً وعاطفيّاً وفكريّاً، مع تطور الأحداث، وحركة الشخصيات، وهذا ما لا تحققه القصة التي هي من نوع السرد والإخبار، مع تفاوت في ذلك من قصة إلى أخرى، حيث وجدت من خلال قراءتي لهذه القصص تفاوت الانفعالات والاستجابات والتشويق، على الرغم من أنها جميعاً تصبّ في فكرة واحدة هي "أحداث السيرة النبوية الشريفة"، وهذا في الحقيقة عائد إلى كُتّاب هذه القصص، فتجد كاتباً يستخدم أدوات فنّه الأدبي بأبهى صورها، دون أن يعتمد على مجرد ما يجري من حوار بين شخصيات القصة، وهذا ما كان ديدن كاتب آخر، فضلاً عما يريده الكاتب الأول من تحقيق غاية سامية من كتابة القصة.

لقد اخترت عدداً من القصص في جانب السيرة النبوية المشرفة، ولاحظت اختلاف أسلوب الكُتّاب في عرض السيرة بأسلوب قصصي، إلا أننا يمكن من خلال هذا البحث الخروج بتصور أوضح عن أفضل القصص التي حققت الإمتاع والتشويق، فضلاً عن الفائدة والمعرفة..

ولقد قرأت هذه الأعمال القصصية، وقمت بتحليلها، من أجل أن أصل إلى نتيجة ما في هذا البحث، وقد استفضت في بعضها؛ نظراً لشهرتها وشهرة صاحبيها، طه حسين في الوسط العربي، ونجيب الكيلاني في الوسط الإسلامي، ولا يعني هذا إغفال جهود الأعمال القصصية الأخرى..

قرأت "على هامش السيرة" و"الوعد الحق" لطه حسين، و"محمد رسول الله والذين معه" و"قصص السيرة للأطفال" لعبد الحميد جودة السحار، و"نور الله" لنجيب الكيلاني، و"سيرة خاتم النبيين للصغار" لأبي الحسن الندوي. وتوصلت إلى أن أكثر الروايات أو القصص التي وجدت فيها

[1] في جماليات الأدب الإسلامي / النموذج والنظرية: د. سعد أبو الرضا، ص: 163.

المتعة والتشويق والفائدة والصحة والعبرة والغاية هي رواية "نور الله" للكيلاني بجزأيها، حيث وجدته أخلص من بحث في السيرة النبوية في الجانب القصصي، وهذا ظاهر فيما سيرد من قراءة لهذه الرواية، التي خلصت إلى غاية أو نهاية جعلها الكاتب حلاًّ لعقدة هذا العمل: نشر نور الله في الأرض، بعد صراع مرير مع الذين أرادوا بكل إمكاناتهم الحيلولة دون هذه الغاية الجليلة.

ولقد التزمت أن أراعي التسلسل التاريخي في عرض هذه الروايات وفق الأسبقية، انسجاماً مع أسس البحث العلمي.

راجياً من الله العون والتوفيق.

على هامش السيرة

د. طه حسين

جاءت هذه الرواية في ثلاثة أجزاء، الجزء الأول منها استغرق معظمه في الحديث عن زمن الجاهلية، وانتهى بالحديث عن اليتم والحاضنة والمراضع، وقد جاء في ذلك ما يمكن أن يكون موضع نقاش. أما الجزء الثاني من الرواية فجاء حافلاً بالحديث عن الأدب اليوناني، ويبدو أن انبهار طه حسين بالأدب اليوناني انعكس في هذا الجزء من روايته، فعرض لآلهة اليونان، وتحدث عن (أبولو) و(المريخ) و(أرتيمس) وغيرها، فقد كان الكاتب يعتقد أن الأدب العربي مدينٌ للأدب اليوناني، فضلاً عن أنه قد ترجم بعض نصوصه إلى العربية (أوديب ملكاً).

ولكني عندما درست الجزء الثالث رأيت بأنه الأجدر أن يكون مدار بحثي، فقد وجدت أنه الأقرب إلى الحديث عن السيرة النبوية، وأنه يمهّد لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم وبزوغ نوره الوضّاء. ومن هنا ضربت صفحاً عن الجزء الأول والجزء الثاني، وركّزت على الجزء الثالث من هذه الرواية فجعلته مدار بحثي.. وهكذا كان.. وإلى الجزء الثالث..

بدأ الكاتب الجزء الثالث من روايته بحوار بين الوليد بن المغيرة وبين ابن أخيه الفتى عمرو بن هشام، ليُظهر ما كانت عليه حال قريش من الاضطراب والفوضى والفساد، وليمهّد لبزوغ نور النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي جاء ليخلّص القوم مما عصف بهم.

وجاء وصف شخصية الفتى عمرو وحالته النفسية على لسان عمه الوليد دقيقاً، فقد حار الوليد في أمر الفتى، ووصمه بالعبث: "تُقبِل وأنت تريد أن تُدبِر، وتدبر وأنت تريد أن تقبل، لا تفرّق في عبثك بين من تلقى من الناس، سواء عندك لقاء الأتراب ولقاء الشيوخ الذين ينبغي أن

تلقاهم بوجه غير هذا الوجه وحديث غير هذا الحديث"[1]. فضلاً عما كان يتسم به الفتى من خيلاء وطموح شديد.

إن حالة (عمرو) النفسية مزيج من المتناقضات؛ خيلاء وغرور مع قومه، وتواضع وإنصات مع الغرباء والحلفاء، يغشى دار نسطاس الرومي للسُّكْر والمجون حتى آخر الليل، ثم يذهب إلى دار ورقة بن نوفل في الصباح يستمد من الروح بمقدار. ولما سأله الوليد: "ما الذي يعجبك من نسطاس ومن ورقة؟"[2]. قال: "إني أجد عندهما الراحة من اللذة والألم جميعاً!!"[3]. وفي ظنّي أن نسطاس هذا شخصية خيالية استحدثها الكاتب.

لكن ما الذي شكّل شخصية عمرو بن هشام الفتى على هذا النحو؟ إنه كُرْهُه لرياء قريش، لندع الفتى ابن هشام يتحدث في ذلك: "هنالك – أي بعد موسم الحج والربح في التجارة – نفرغ لأنديتنا فيتحدث بعضنا إلى بعض بأحاديث أقلّها الحق وأكثرها الباطل"[4].. "نُكبر الآلهة ونعظم أمرها إذا شهد العامة، أو حضر أهل الموسم، فإذا خلا الملأ من قريش إلى أنفسهم، فأي استخفاف بالآلهة وأي ازدراء لمن يدينون لها بالإكبار والإجلال"! [5].

وهنا نجد مقدار ما يمتلك عمرو من حُجّة، في ردّه على استفسارات عمه الوليد، فحين سأله الوليد: "إني لا أفهم عنك ما تقول منذ اليوم.. الراحة من اللذة! ما هي؟ وكيف تكون؟[6]. "قال الفتى: "رُح معي إلى نسطاس أو اغدُ معي إلى ورقة، ثم أطل عندهما المقام كما أطيله، وتصرّف معهما في فنون القول كما أتصرف، فستجد عندهما مثل ما أجد، وسترضى من أمرهما عن مثل ما أرضى عنه، وستغدو على أحدهما وتروح على الآخر، وستؤثر داريهما على أندية قريش"[7]. قال الوليد: "لقد شبّ عمرو على الطوق.. إني لأعرف فيك أَنفة مخزوم وكبرياءها"[8].

بداية فيها من التشويق ما فيها، أجاد الكاتب إذ جعلها مقدمة هذا الجزء.

وفي حواره مع ورقة بن نوفل تتكشف شخصية الفتى عمرو أكثر، إذ يكشف – وقد بدا انزعاج ورقة من عمرو بسبب غشيانه دار نسطاس – أن الروم – وتمثلهم هذه الدار – "إنما هم عيون قيصر في هذه الأرض، وما أرى أن واحداً منهم قد أقبل إلى بلادنا إلا وهو مُجمع أن يحبّب

---

[1] على هامش السيرة، د. طه حسين، ج 3، ص 10.
[2] المصدر السابق، ج3، ص 18.
[3] المصدر نفسه.
[4] المصدر نفسه، ص 15، بتصرف.
[5] المصدر نفسه، ص 17.
[6] المصدر نفسه، ص 18.
[7] المصدر نفسه، ص 19.
[8] المصدر نفسه.

إلينا أمراً من أمور الروم ويستخفّ قلوبنا لحب هذه الحياة الرومية التي يحملون إلينا أيسرها وأهونها!"[1].

ويكشف الفتى لورقة، أنه حتى في دار نسطاس -بعد أن يتقدم الليل- يتلقى من نسطاس نفسه حديثاً في العلم والدين: "علمت أن وراء نسطاس التاجر الخمّار الذي يفتن شباب قريش بالخمر والنساء والغناء فيلسوفاً يلتمس الحق، وديّاناً يلتمس الدين الصحيح"[2]. ومما تحدّث به الفتى لورقة أن نسطاس حدّثه بأن الجماعة – التي ينتمي إليها نسطاس وهي منتشرة في بلاده تلتمس الحق وتبحث عن الهدى –: "عرفت أن أمر هذا الدين قد قرب، وأن زمانه قد أظلّ، وسيتنزّل من سماء واد غير ذي زرع، فيه قوم غلاظ قساة، لاحظّ لهم من علم ولا من كتاب، يطمئن أكثرهم إلى الجهل ويضيق به أقلّهم..."[3]. إلى أن يقول: "ونسطاس أحد هؤلاء قد وقعت له أرضنا حظّاً، فأقبل إليها يلهينا بالخمر والغناء والنساء، وينتظر أمر السماء"[4].

التمهيد لنور محمد:

عمرو بن هشام يُظهر حسده وكرهه لمحمد صلى الله عليه وسلم لحادثة وقعت بينهما (مزاحمة النبي له عند ابن جدعان)، وورقة بن نوفل ونسطاس يتهيئان لمقدم الرسول، وورقة باق في مكة ليهيئ أهلها، ونسطاس يرحل عن مكة ليهيئ قومه الرومان.

استبدّ الحنق والغيظ بعمرو، لما رأى من تبدُّل حال دار نسطاس، التي صارت قاعاً صفصفاً، لا يغشاها أحد، وما رأته قريش بعد ذلك إلا مغيظاً محنقاً، عدوانيّاً ومؤذياً.

وفي الطريق إلى حانته في قريش عرض له شيخ أعرابي سمّى نفسه (أبا مرّة)، لفت نظر الفتى عمرو، ويبدو أن (أبا مرة) هذا، من صنع الكاتب، جاء به في وقت اضطربت الحالة النفسية للفتى عمرو، فكانت مهيأة لاستقبال مزيد من التحريض على شخص محمد صلى الله عليه وسلم، وكان (أبومرة) هو أداة التحريض واستغلال اضطراب عمرو ابن هشام، ألم يقل له: "وأما الأمر الذي أحببته منك أشدّ الحب، فبغضك لابن عبدالمطلب، هذا الذي يسمّيه قومك (الأمين) ضعفاً منهم وخرقاً، وإنه لهم لمصدر البلاء كل البلاء، والشر كل الشر، والمحنة كل المحنة"[5].. ويستمر (أبومرة) في سقي الفتى بغضاً على بُغض، ألم يقل له صراحة: "فلقد صدقتك نفسك حين حملتك على بُغض هذا الرجل، ولئن حمدت فيك شيئاً فإنما أحمد فيك هذا البغض العنيف، الذي لا يُبقي ولا يذر، ولا

[1] المصدر السابق، ج3، ص 25.
[2] المصدر نفسه، ص 27.
[3] المصدر نفسه، ص 29.
[4] المصدر نفسه، ص 29 – 30.
[5] المصدر السابق، ج3، ص 65.

يعرف هوادة ولا ليناً ولا أناة، وإن هذا البغض على عنفه وشدته لقليل بالقياس إلى ابن عبدالمطلب"![1].

لكأني بالكاتب يشعل أوار حالة نفسية عارمة، تبدّى ذلك في هذا الحوار المحتدم بين الشيخ والفتى، حتى وصل الأمر بالفتى أن يقول للشيخ: "أبينك وبينه دم"؟![2].

ويستمر الحوار، في معمعة القداح التي تُقدّم للفتى، فهو بين قدح يدير رأسه يمنة ويسرة، وكلمات ككرات النار تنهال عليه فتصيب شظاياها رأسه من كل اتجاه، حتى قال للشيخ: "ويلك! والله ما أدري أخمراً تسقيني أم ناراً؟"[3]، والشيخ مستمر في تحريضه، يذكره بأمر كلٍّ من ورقة ونسطاس، اللذين أخفيا عنه حقيقة ابن عبدالمطلب، الذي سيصبح النبي المنتظر.. ويسير الشيخ مع الفتى بعيداً فيبسط له الحقائق جلية.. بعد أن يسأله الفتى عمرو: ماذا يهيئ لنا؟" [4] – يقصد محمداً — ، فيستعرض الشيخ فِكر محمد:

1- "هناك إله واحد حق غير آلهتكم الباطلة.

2- ليس بين الناس قوي ولا ضعيف، ولا شريف ولا وضيع، ولا سيد ولا مسود، سواء كأسنان المشط.

3- من عمل صالحاً فله جنة، ومن عمل سيئاً فله نار، فهناك حياة كائنة بعد الموت" [5].

قال عمرو: "وإن محمداً ليقول هذا للناس؟!" [6].

قال الشيخ: "نعم! وإن الناس ليسمعون منه ويؤمنون له، ويكثرون من حوله"[7]. حتى وصل الأمر بالفتى إلى أن يقول: "فأما الآن فلا والله ما أبغض أحداً كما أبغض بني هاشم، ولا أجد من الضّغن على أحد كما أجد على فتاهم هذا الذي يسمّونه (الأمين) !!" [8].

ويستمر مشهد كرات النار: "هوّن عليك أبا الحكم! فإنك لم تبلُ من بغض هؤلاء الناس إلا أهونه وأيسره، ولتبلغن العداوة بينك وبينهم أقصاها، فإذا بلغت ذلك فاذكر أن صديقك أبا مرّة ليس منك ببعيد"!! [9].

---

[1] المصدر نفسه، ص 66.
[2] المصدر نفسه.
[3] المصدر نفسه، ص 67.
[4] المصدر نفسه، ص 68.
[5] المصدر نفسه، ص 68-69، بتصرف.
[6] المصدر نفسه، ص 70.
[7] المصدر السابق، ج 3، ص 70.
[8] المصدر نفسه، ص 71.
[9] المصدر نفسه.

مشهد الحوار هذا، أبدع فيه الكاتب أيما إبداع، فقد أجَّج حالة بغض وحقد لا مثيل لها على لسان أبي مرة، إذ لم يترك للفتى فرصة لالتقاط أنفاسه، من وقع الضربات النارية التي ألقيت على رأسه، كلمات نارية تتلوها كلمات، في مشهد لا يهدأ، وكأن أبا مرة فيه يستلّ من عقل الفتى بقية ودّ تجاه محمد، ربما تصلح – أي بقية الودّ – لعلاقة ينحسر فيها البغض القديم الذي حمله نحوه، ألم يقل عمرو للشيخ في هذا الحوار: "إن ابن عبدالمطلب ليصل الرحم، ويصدق الحديث، ويرفق بالضعيف، ويرحم الرقيق، وإني لأجد في نفسي الحسد له، وليس الحسد من أخلاق الرجل الكريم، وإني لأروّض نفسي منذ ذلك اليوم على أن أعود على ابن عبدالمطلب بالعافية وأمنحه مودّتي وبرّي" !! [1].

هذا الذي بدر من الفتى، ضيّعه ذلك الشيخ (أبو مرة) !! وكأني بالقاص يريد أن يقول: إن هذا الشيخ هو الشيطان عينه، نفث سمومه في هذا الفتى.

إن ما أعجبني في هذا الحوار، هذا السبك الفني الجميل، واللغة القوية في وصف الحالة النفسية لكلا الطرفين: الفتى والشيخ.. الفتى الذي تؤنبه نفسه لما حاك به صدره ونطق به لسانه بحق محمد، والشيخ الذي يشعل النار في عقل الفتى وقلبه، بوسيلتين: أن يظل الفتى يشرب من القدح حتى يتطاير الشرر من عينيه، ثم بوقع كلماته النارية المحرّضة على محمد.. وما أروع أسلوب الكاتب الفني في هذا الموقف؛ فبعد كل جملة نارية يمليها الشيخ على الفتى، يقول له: اشرب !! يسقيه للذة جسده، ليشبع نهمه، كما يسقي عقله بكلماته المحرّضة.. فماذا سيكون – يا تُرى – حال الفتى؟!

يمكنني أن أقسّم هذا الجزء إلى قسمين: الأول، حواري وسردي، وظهر خلاله الحوار واضحاً ومتواصلاً، واقتصر على شخصيات بعينها هي: الوليد بن المغيرة، عمرو بن هشام، نسطاس الرومي، ورقة بن نوفل، أبومرة.

على أنّ ما ميّز هذا القسم الأول – الذي جرى فيه استعراض بعض أحداث السيرة النبوية بشكل مقتضب – هو تركيزه الكامل على شخصية عمرو بن هشام، فجاء هذا الاستعراض السريع للسيرة من خلال هذه الشخصية أو ضمن مواصلة الكاتب التركيز عليها، وعلى تطورات حركتها، ويبدو أنه أراد من وراء ذلك – أي عرض السيرة على هذه الشاكلة – التركيز على أرضية العداء للدين الجديد، من خلال شخصية عمرو بن هشام (أبي جهل)، التي تمثل دين الآباء والأجداد؛ الدين الذي لا يمتلك أدوات الثبات في الأرض، لما يمثله من أوضاع خاطئة: الجهل، والظلم، والنفاق، والعصبية القبلية، وغير ذلك، مما يمهّد لاستقبال الدين الجديد، الذي جاء ليهدم هذه الأوضاع، ويقيم الحياة على أسس صحيحة لا عوج فيها ولا اضطراب، ومما أدّى إلى تشكّل قوتين: قوة الدين القديم،

[1] المصدر نفسه، ص 66.

وقوة الدين الجديد. مثّل الأولى أبوجهل، ومثّل الثانية محمد صلى الله عليه وسلم. واشتدت الأولى في عدائها لمحمد ودعوته، حتى تحولت من شخصية ذكية حكيمة قبل الاحتكاك بشخص النبي صلى الله عليه وسلم، إلى شخصية جاهلة متهورة حين وضعت نفسها في مواجهة مباشرة معه صلى الله عليه وسلم، فصار (أبوالحكم) (أبا جهل) بين الناس.

وأيّاً ما كان مقصد الكاتب من وراء هذه الطريقة، وهي التركيز على العداء لهذا الدين والكيد له، فإن كثيراً من الفائدة كان يمكن أن تتحقق للقارئ، لو استعرض الكاتب أحداث السيرة النبوية كاملة كما استعرضتها روايات عدة.

أما القسم الثاني في هذا الجزء فكان تعريفيّاً، ذكر فيه الكاتب شخصيات وأحداثاً مهمة، في فترات زمنية متعاقبة، على هامش السيرة، بدءاً بحمزة بن عبدالمطلب، ومروراً بجعفر، وحديث عداس، ومصعب بن عمير، وطريد اليأس لسياس، ووحشي الحبشي، ووفاء أبي كعب وابنه، وطبيب النفوس (قصة إسلام صفوان بن أمية والحارث بن هشام)؛ وانتهاءً بحنظلة الخزامي.

وهو بهذا يخطّ طريقة فنية خاصة به، يخرج فيها من أسلوب سرد بعض أحداث السيرة النبوية إلى جو آخر، ويوحي للقارئ بما أفرزته هذه الأحداث من شخصيات أثّرت في هذه المسيرة المباركة، بل وصنعتها هذه السيرة العطرة.

وهي طريقة فيها انتقال مفاجئ، انفرد فيها عن باقي الروايات، فكانت نمطاً مختلفاً، خرج فيه عن الأسلوب التقليدي في التعريف بهذه السيرة النبوية.

على أن هذا القسم – وإن بدأه الكاتب بذكر الشخصيات وعلى رأسها حمزة، قد قُدِّم له بالحديث عن معركة اليرموك، وإشراف خالد بن الوليد على بدء الزحف العام، في إشارة إلى المعركة الفاصلة بين المسلمين والروم، وكان (خالد) يقارن ما بين معاركه التي ألفها وخاضها في بلاد العرب، والتي كانت تتسم بنمط معين من الكرّ والفرّ والمبارزة والمناجزة، فأصبحت – حسب وصف الكاتب -: "زحف الجبال إلى الجبال، واختلاط الأرض بالسماء"[1]، وما بين معاركه الجديدة في ظل الإسلام. ويراقب (خالد) الفرق الكبير في العدة والعتاد، بين جيش المسلمين وجيش الروم، ويجد الأمر مهولاً، والمنظر رهيباً.. ولكن النصر كان حليف المسلمين. إذن هو انتقال من حالة إلى حالة، ومن واقع إلى واقع.. قويت شوكة الإسلام تدريجيّاً.. وانتصرت الدعوة الإسلامية، وعمّت مساحات واسعة من الأرض حينذاك.

[1] المصدر السابق، ج3، ص 104.

أما من الشخصيات التي اخترقا، فحمزة (سيد الشهداء) أولاً، وحوار عن حمزة جعله الكاتب بين (الأمير) و(صاحب الأمير)، وبين (الشيخ) الذي أحسن في الوصف حين تحدث عن استشهاد حمزة، حيث قال: "كان إسلامه عنيفاً، وكان بلاؤه في الإسلام عنيفاً، وكان مصرعه في الله عنيفاً، وكان ما ترك من حزن عليه وَوَجْد به وحبٍّ له عنيفاً أيضاً"[1].

على أن أهم ما يمكن أن نستنتجه من قصة حمزة، التي ذكرها الكاتب على لسان الشيخ، ما قاله الأمير للشيخ في نهاية الحوار: "بدأ أمر حمزة بالعنف، وانتهى إلى الرحمة واللين.. رحم الله حمزة! فما ينبغي أن يثير ذكره شرّاً، وما ينبغي أن يثير ذكره إلا المودة والرحمة والنصح للمسلمين ولأمير المؤمنين"[2]. في إشارة إلى توعد النبي بالتمثيل بجثث الكفار ردّاً على التمثيل بجثة حمزة، ونزول آيات تنهى عن ذلك: {وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون} [النحل: 126-127].

وهذا استنتاج رائع من الكاتب، أراده من قصة حمزة، تعليماً لأمة الإسلام أحكام الله في هذا الموضع.

وفي الحديث عن جعفر الطيار / ذي الجناحين، مقدمة أدبية راقية، تنضح بالشوق والحنين، فيها موسيقى، كأنها قطعة من شعر، بل كأنها غنائية: "أقبلتْ تسعى رويداً رويداً مثل ما يسعى النسيم العليل، لا يمسّ الأرض وقع خطاها، فهي كالروح سرى في الفضاء. نشر الليل عليها جناحاً فهي سرّ في ضمير الظلام. وَهَبَتْ للروض بعض شذاها، فجازاها بثناء جميل. ومضى ينشر منه عبيراً مستثيراً كامنات الشجون. فإذا الجدول نشوان يُبدي من هواه ما طواه الزمان. ردّت الذكرى عليه أساه، ودعا الشوق إليه الحنين..."[3]، إلى أن قال: "ونفوس العاشقين كراتٌ يعبث اليأس بها والرجاء، كحياة الدهر تأتي عليها ظلمة الليل وضوء النهار"[4].

ويبدو أن هذه المقدمة تناسب المقام.. فها هو جعفر، صاحب النفس الحلوة الهادئة، كما وصفه الشيخ، شارك أصحاب الدين الجديد المحنة والعناء.. تجشّم الأهوال، وأبى إلا أن تكون له أسهم في حسن البلاء واحتمال أثقال الجهاد. إنها مؤتة.. المعركة الفاصلة.. فإذا جعفر يستلم الراية فيقاتل حتى تُقطع يداه، وينبئه النبيُّ أن الله قد عوّضه من يديه جناحين مخضوبين بالدماء يطير بهما في الجنة..

---

[1] المصدر نفسه، ص 114.
[2] المصدر السابق، ج3، ص 121.
[3] المصدر نفسه، ص 125.
[4] المصدر نفسه.

إنهما جناحان طائران محلّقان يناسبان ما بدأ به الكاتب مقدمته.. في الجنة كأن نفسه تتغنى: أقبلت تسعى رويداً رويداً مثل ما يسعى النسيم العليل. وهذا من جماليات الربط التي تناسب مقام هذا الصحابي الجليل.

وعلى الرغم من إجادة الكاتب في هاتين القصتين، إلا أنهما لا تخلوان من إسهاب، لكنه إسهاب جميل، ظهرت فيه قدرة الكاتب اللغوية على أن يكسو معانيه بألفاظ رائعة وجمل رائقة.

أما ما أورده الكاتب بشأن حديث عداس مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد رواه الطبراني وغيره، وصحّحه (الضياء) في (المختارة)، لكن المحدّث (الألباني) ضعّفه، لأن في إسناده ابن إسحاق، وابن إسحاق مدلّس وقد عنعنه.[1].

وأما ما أورده بشأن نهاية وحشي الحبشي — الذي قتل حمزة، واستقرّ أخيراً في حمص الشام — من أنه ختم حياته في شرب الخمر، على الرغم من أنه كان مسلماً، فقد رجعت إلى ما أورده ابن عبدالبر في كتابه (الاستيعاب) حيث ضعّف هذه الرواية، وقال: "وهو إسناد ضعيف لا يُحتجّ به. وقد جاء بذلك الإسناد أحاديث منكرة لم تُروَ بغير ذلك الإسناد"[2].

وفي مقام الحديث عن حنظلة بن عمير الخزاعي، وفي معرض حديثه عن موت إبراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم، يورد هذا القول منسوباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، على لسان الأمير الذي كان يتحاور معه حنظلة: "إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو عاش إبراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطي"[3]. ولما تحققت من تخريج هذا النص (الحديث)، وجدت أن الحديث ضعيف.[4]

وما ذكرته من هذه الروايات، يدل على وقوع الكاتب في مصيدة (الإسرائيليات)، فلم يدقّق فيما أورده من نصوص حديثية، وهو ما يعدّ من سلبيات هذه الرواية، إذ إن مثل هذه النصوص يمكن أن ينبني عليها أعمال، لذا كان أجدى بالكاتب أن يتحرّى الدقة والصحة في ذلك.

فضلاً عما أثير من انتقادات لهذا العمل الأدبي من احتفال بغيبيات ذكر أن العرب قد آمنت بها قبل الرسالة النبوية، ومن هنا فقد غمز الباحثون من قناة هذا العمل لهذا السبب.

الوعد الحق

د. طه حسين

البداية عند ياسر العنسي، القادم من اليمن، مع أخويه مالك والحارث، يبحثون عن أخ لهم مفقود في أرض الله، فمرّوا بمكة.. ولما أراد أخواه العودة إلى اليمن بعد أن فقدوا الأمل في العثور

---

[1] سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، المجلد السادس، ص: 486، 487.

[2] الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبدالبر، ص: 757.

[3] على هامش السيرة، د. طه حسين، ج 3، ص 243.

[4] سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الألباني، المجلد الخامس، ص: 318.

على أخيهم، لم يعد معهما ياسر.. لكأن التاريخ على موعد معه ومع آله.. آثر الفتى ياسر مكة وجوار الحرم.. صحيحٌ أن نفسه تعلّقت بفتاة سوداء، اسمها: سميّة، لكنه أيضاً، لم يكن ببعيد عن أجواء الدين والفكر، فكان يهزأ بآلهة قريش، إذ لم يُبد قناعة بها. بل كان يقول لأبي حذيفة بن المغيرة – الذي آواه –: "لو كنت متخذاً إلهاً لعبدت البحر الذي يروعني، أو الشمس التي تضيء لي، أو النجوم التي تهديني.."[1].

ما أجمل هذه النتيجة التي سطّرها الكاتب: "وعاد الفتى ياسر بعد أن ودّعهما إلى مكة، فأقام فيها ضيفاً على أبي حذيفة أول الأمر، ثم حليفاً له بعد ذلك، ثم زوجاً لسميّة أمته السوداء تلك، ومنذ ذلك الوقت عرفته الدنيا وحفظه التاريخ"[2].

فعلاً.. لكأنّ آل ياسر يدشّنون حياة جديدة.. ها هو ذا عمار بن ياسر يعتنق الدين الجديد، فتنشرح نفس أبيه لأمر كأنه كان يبحث عنه، ليلبي قناعاته التي لم يساورها الشك بأن ما كانت عليه قريش إنما هو ضلال وغيّ.

وما أروع تصوير الكاتب لياسر وسمية قبل عمار: "ولم يكن ياسر يتحول بسميّة إلى داره حتى غفل عنه التاريخ دهراً طويلاً، كما تعوّد أن يغفل عن الدهماء... وكان التاريخ في ذلك الوقت، كما كان في أكثر الأوقات، لا يحفل إلا بالسادة، ولا يلتفت إلا إلى القادة"[3]، "وكان ياسر من الدهماء، فلم يحفل به التاريخ، ولم يلتفت إليه.."[4]. وها هم أولاء آل ياسر، يُمتحنون في دينهم، فيسلمهم أبوجهل للعذاب.. يقول ياسر لسمية: "هذا أول النار التي عرضتها عليّ الأحلام"[5]. فيقول عمار: "ومن ورائها جنة فيها نعيم، ورضوان للذين صدّقوا محمداً واستجابوا لدعوته" [6].

وفي ذلك إشارة وتصديق لرؤيا كان قد رآها ياسر، رأى النار من بين جبلين تسعى، ورأى مروجاً خضراً، تردّ الشباب، وتشرق الوجه، وعمار ابنه يدعوه لاقتحام النار (عذاب أبي جهل)، من أجل رياضٍ خضر (الجنة).

لكأن التاريخ هنا يُصنع من جديد، بعد أن صنعه محمد صلى الله عليه وسلم أول مرة.. من عند آل ياسر، الذين ثبّتوا أوتاد الدين الجديد، بثباتهم هم.. وهو ملمح رائع في طريق الوعد الحق!

[1] الوعد الحق، د. طه حسين، ص 11.
[2] المصدر نفسه، ص 6.
[3] المصدر نفسه، ص 14.
[4] المصدر نفسه، ص 16.
[5] المصدر السابق، ص 31.
[6] المصدر نفسه.

ويستمر مشهد الثبات.. صهيب الرومي، غلام لدى عبدالله بن جُدعان. ما أجمل ما أثبت الكاتب من حوار بينهما في العبودية والحرية: جدعان: "أريد أن أردّ عليك حريتك، وأن أملكك أمر نفسك، ولكن بعد أن أعرّضك لمحنة ذات خطر "![1].

صهيب:

"فأمسك عليك حريتك هذه التي تريد أن تردّها عليّ، فإن الحرية لا تُباع ولا تُشترى.. أنتم ترونني عبداً قِنّاً، وأنا أراني رجلاً حرّاً "[2].."، "تريد أن تمتحنني "[3] !

هذا صهيب.. التائق إلى نور الدين الجديد، والمشتاق إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم، يصبّ عليه أبو جهل جام غضبه، فيضمّه إلى آل ياسر في العذاب..

مشهدان متفقان في المقدمة وفي النتيجة: عدم الاقتناع بما عليه قريش، وتذوّق ألوان العذاب نتيجة ذلك.

وهكذا يصنع الكاتب شخصيات الرواية قوية منذ البداية.. شخصيات مفكّرة، لم تُسلم عقولها ليعبث بها الجهلاء، رغم ما كانت تضجّ به البيئة آنذاك.. شخصيات لا تعبأ بالسلاسل والأغلال، مرتبطة بالحدث، تصنعه هي، وتحدّد مساره واتجاهاته..

رباح والفتاة:

(رباح) عبد حبشيّ، تزوج ببنت أخت أبرهة، الذي هُزم جيشه بالطير الأبابيل، والتي أُسرت من قبل قبيلة (خثعم) — في الطريق من مكة إلى اليمن —، وسلّمها (سُحيم) — من خثعم – إلى (خلف) من سادة قريش، يطلب إذلالها، فأشار عليه فتى زنجي اسمه (رباح) أن يزوجها بزنجي لإذلالها، فطلب (خلف) إلى (رباح) أن يتزوجها ففعل، وكانت خطة (رباح) أن يحفظها عنده ويتودّد إليها ولا يذلّها.. وهكذا فعل.. صارت الفتاة في بيت رباح.. يتودّد إليها ويأنس بصحبتها.. وهنا، في هذا المقام، نجد الكاتب يسهب إسهاباً غير محمود في وصف العلاقة فيما بينهما، أنها عَلاقة (حب وتودّد وأنس)، فتجده يكرِّر هذه المفردات مرات عدة، حفلت بها ما يقرب من خمس صفحات، وكان الأجدر به أن يختصر هذه العلاقة في كلمات معدودة ومعبّرة، وهو الذي يمتلك ناصية التعبير الجميل، بدل أن يسرف في وصف علاقة الحب، وكأنه يسرد قصة حب في مقام آخر غير مقام السيرة النبوية.. وكانت تكفيه عدة أسطر ليعبّر فيها عن مشاعر العلاقة بينهما أصدق تعبير.

---

[1] المصدر نفسه، ص 40.

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه، ص 41.

على كل حال، (رباح) هذا، أنجب من (الفتاة) بلالاً – رضي الله عنه.

الرّق:

ركّز القاصّ على موضوع الرّق في روايته هذه أيما تركيز، فمن (سميّة)، إلى (صهيب الرومي)، إلى (خباب بن الأرت)، إلى (سالم مولى أبي حذيفة) إلى (بلال بن رباح)، وأجرى في ذلك حوارات معبّرة، واستخدام كلمات مؤثرة، ذكرنا منها في حوار صهيب الرومي مع عبدالله بن جدعان، وها هو ذا في هذا المقام يصف وصفاً معبّراً على لسان (ثُبيتة بنت يعار الأوسية)، التي اشترت الصبيّ (سالم) الفارسي، من (سلاّم بن جبير) اليهودي، حيث قالت وهي عائدة بالصبي إلى دارها بعد أن اشترته: "بُعداً لهذه الحياة التي لا يرحم الإنسان فيها الإنسان.. لو أن لي صبيّاً مثله فعدا عليه العادون، ومضوا به في غير مذهب من الأرض، كيف كنت ألقى ذلك؟! وكيف كنت أحتمله أو أصبر عليه؟! لو كان لي صبي مثله وعدا عليه العادون، وذهبوا به في غير مذهب من الأرض لذكرته مصبّحة وممسّية، ولذكرته يقظى ونائمة، ولما اطمأننت للعيش، ولا نعمت بالحياة، ولا استمتعت بطيبات هذه الدنيا.."[1].

لكأنها تضرب على الوتر النفسي، على المشاعر الحقيقية الرفيعة التي ينبغي أن تلازم الإنسان في حياته ولا تفارقه.

لكأنها تصف البيئة التي كانت آنذاك.. تنعاها؛ بيئة الظلم وقساة القلوب؛ بيئة هدر كرامة الإنسان وجعله سلعة تُباع وتُشترى، مثله مثل أي بضاعة يأتي بها القادم من بلد غير بلده، فيعرضها للبيع، وربما يكون الإنسان المبيع – من ضمن البضاعة – غُصّة في حلق بائعه، ولا يدري إلى تصريفه سبيلاً، إلا أن يجد من يرقّ قلبه إليه فيشتريه، وأمثال أصحاب القلوب الرحيمة هؤلاء في تلك البيئة قليلون جدّاً، بل نادرون.. ومثال هؤلاء (سالم) الذي كان غُصّة في حلق (سلاّم)، لا يدري كيف يتخلص منه؛ فهو عنده سلعة مثل كل سلعة غير آدمية أحضرها معه من الشام، صرّفها كلها وربح فيها، إلا هذا الصبيّ !! موقف فيه من التأثر والتأثير ما فيه !!

العذاب أو التعذيب:

لم تحتمل قريش كثرة الساعين إلى اعتناق الدين الجديد.. فصبّت عليهم من التعذيب ألواناً، وليس آخرها عبدالله بن سهيل، يذيقونه أشدّ العذاب. ويبدع الكاتب في وصف يوم من العذاب، فيقول عن قريش: "لم يشغلوا أنفسهم ببيع أو شراء، ولم يسرّوا عن أنفسهم بصيد أو طرد أو

[1] المصدر السابق، ص 88-89.

مُجون، وإنما شُغلوا بشيء غير ذلك كله: شُغلوا بتهيئة العذاب وجه النهار، وشُغلوا بشهود العذاب وسط النهار، وشُغلوا بالتحدث عن العذاب آخر النهار"[1].

يتحدث عن هذا العذاب الشيب والشبان.. وقد أبدع الكاتب في الوصف، وها هو ذا ينقل هذا الحوار.. قال الحارث بن هشام لابن أخيه عكرمة بن أبي جهل: "ألم تر إلى سُميّة كيف كان جسمها يتلوّى حين كانت السياط تُلهبه بغير حساب، دون أن يفترّ فمها عن صيحة أو أنّة أو شهيق؟!"[2]

قال عكرمة: "لم أعجب لشيء كما عجبتُ لزوجها الشيخ الذي مُزّق جسمه بالسياط وحُرِّق بالنار ليذكر الآلهة بخير، فلم يظفر منه أبي إلا بشتم الآلهة والاستهزاء بها. أما ابنه عمار فقد سكت صوته، وسكن جسمه للعذاب، وارتسمت على ثغره ابتسامة حلوة مرّة، ما أدري أكانت تصوّر الرضى أم كانت تصوّر الغيظ؟! ولكنها ارتسمت في نفسي أشدّ مما ارتسمت على ثغره، وما أرى أنها ستغيب عني آخر الدهر"[3]. تشبيه بليغ، مؤثر جدّاً، فكأن الابتسامة التي ارتسمت في ثغر عمار وانتقلت إلى نفس عكرمة، طبعت فيها طبعة لا تزول !!

صفوان بن أمية: "فكيف لو رأيتما بلالاً، ذلك الحبشي، والفتية من الأحرار والرقيق يتنازعون جسمه، يأخذ كلٌّ منهم بطرف، كأنما كانوا يريدون أن يقتسموه بينهم، وهو في أثناء ذلك لا يئن ولا يشكو، وإنما يُثني على محمد، ويذكر إلهه ذاك بالخير"[4].

خالد بن الوليد: "أما أنا فقد رأيت من صهيب عجباً: رأيت القوم يعذّبونه بالنار وينوشونه بالرماح ويُلهبون جسمه بالسياط، وهو على ذلك يتحدث إليهم حديث من لا يحفل بما كانوا ينالونه به من الأذى، وربما اشتد عليه البأس فعقد لسانه عن القول برهة، وأجرى على جبينه شيئاً من عرق، ثم لا يلبث أن تثوب إليه نفسه ويعود إلى التحدث مع معذّبيه في بعض أمرهم !!، كأنهم لم ينالوه بمكروه..!!"[5].

شهادات عظيمة، بحق رجال عظام.. كانوا على العهد.. سائرين في طريق الوعد، لا يتخلفون عن الحق، ولو كلّفهم ذلك حياتهم في سبيله.

لقد أحسن الكاتب حين نقل الصورة حيّة، كما كانت، وحين صوّر أحاسيس المعذَّبين ومشاعرهم، وصدقهم في حب محمد واقتفاء أثر دعوته، حين جعلوا من أجسادهم ممرّاً للوصول إلى

---

[1] المصدر نفسه، ص 101-102.
[2] المصدر السابق، ص 103.
[3] المصدر نفسه.
[4] المصدر نفسه، ص 104.
[5] المصدر نفسه.

الحق، حين ارتضوا أن يكونوا شرارة انطلاق الحرية على حساب آلامهم وأوجاعهم.. فانتصروا على الباطل، وانتصرت بعدهم أمتهم بفضل جهادهم وتضحياتهم.. وهذا ما أراد الكاتب أن يوصله إلى القارئ من خلال عرض هذه الأوصاف المعبّرة عن واقع ذلك الزمان. فكانت صوراً فنية، مؤثرة خارجة من إسار السرد المملّ إلى إطار إنشاء الحوار الجاذب المشوّق، حين أشرك فيه عدداً من الشخصيات ذات الثقل في قريش، ما جعلها تبدو متفاعلة مع الحدث، متأثرة به، غير منحرفة عنه.

كرّة أخرى:

يعيد الكاتب الكرّة، فيستعرض مناقب الصحابة الذين ذكرهم سابقاً وقصص تضحياتهم، بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة: صهيب الرومي، عبدالله بن مسعود، عبدالله بن سهيل، بلال بن رباح، عمار بن ياسر، خباب بن الأرت – رضي الله عنهم أجمعين –.

رواية ضعيفة:

في غمرة حديث الكاتب عن مكانة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وإشادة النبي صلى الله عليه وسلم به، يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بحقه ذات يوم: "لو كنت مؤمّراً أحداً دون شورى المسلمين لأمّرت ابن أم عبد.."[1]، فقد قال الألباني فيه: ضعيف جدّاً.[2] وقد جاءت روايات المحدثين كلها مغايرة للنص الذي ذكره الكاتب، حيث جاءت كما يلي: "لو كنت مؤمّراً على أمتي أحداً من غير مشورة منهم، لأمّرت عليهم ابن أم عبد" [3].

صهيب العربي!

يذكر الكاتب صحابة رسول الله صلى الله وسلم ومناقبهم مرات عدة، وفي كل مرة يذكر مناقب وأعمالاً جديدة لهم، وفي آخر مرة، يذكر جواب صهيب لعمر بن الخطاب حين سأله عن أصله، أنه عربي، فقال صهيب: "وأما قولك في النسب وادّعائي إلى العرب فإني رجل من النمر بن قاسط من أهل الموصل، ولكن سُبيت، سبتني الروم غلاماً صغيراً بعد أن عقلت أهلي وقومي وعرفت نسبي" [4].

إذن، صهيب عربي! هذا ما جاء في آخر الرواية، بعد مشوار طويل مع صهيب الرومي!

مرحلة عثمان بن عفان:

[1] المصدر السابق، ص 128.
[2] سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الألباني، المجلد الخامس، ص: 350.
[3] سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني، وسنن الترمذي، وتاريخ دمشق للدارقطني، والسيوطي.
[4] الوعد الحق، د. طه حسين، ص 144.

تميزت هذه المرحلة باختلاط الأمر، واشتباك المنافع، واختلاف الأهواء.. حيث اصطدام الخليفة عثمان بخيار الصحابة مثل: عمار بن ياسر، وعبدالله بن مسعود. وكانت هذه المرحلة بداية الفتنة التي عصفت بالمسلمين.. والذي يقرأ ما ذكره الكاتب مما كان بين الصحابيين الجليلين مع الخليفة الجليل عثمان، يستشعر مدى ما اتسم به الخليفة من انتصار لنفسه وعدم قبول الرأي الآخر، مما اضطره لاستخدام الشدة معهما.. وهنا للأسف ظهر الخليفة عثمان في هذه الرواية بصورة منفّرة، وكان يمكن أن ينصفه الكاتب، فيذكر ماله وما عليه، وإنما كان – في نظري – متحيزاً إلى الطرف الآخر تحيزاً ظاهراً وواضحاً.

ما ميّز هذه الرواية عن رواية (على هامش السيرة):

1– ظهر فيها بيان معنى كثير من الكلمات التي يصعب على القارئ العادي فهمها، وإدراج معانيها في هامش كل صفحة.

2– قلة عدد الروايات الضعيفة والإسرائيليات قياساً إلى رواية (على هامش السيرة) التي كثر فيها عدم التثبت، وخصوصاً ما تعلّق منها بنهاية (وحشي)، و(وضع الجزية عن كل قبطي)، وغير ذلك.

3– أجاد الكاتب في عرض سير رجال حول الرسول صلى الله عليه وسلم من صحابته الكرام فنجح في رسم صورهم النفسية والشخصية نجاحاً كبيراً.

القصص الديني / قصص السيرة (للأطفال)

عبدالحميد جودة السحّار

هذه القصص حلقة ضمن أربع حلقات، الأولى: قصص الأنبياء، والثانية: قصص السيرة، والثالثة: قصص الخلفاء الراشدين، والرابعة: قصص العرب في أوروبا حتى آخر أيامهم في الأندلس. وقد صدرت الطبعة الأولى من هذه القصص بالاشتراك مع سيد قطب – رحمه الله –.

من عند هاشم بن عبد مناف – الذي في نسله النبوة والشرف، ومن نسله وُلد عبدالمطلب، جدّ النبي صلى الله عليه وسلم – كانت بداية قصص السيرة النبوية.. وفي ذلك تهيئة من الكاتب – فيما يبدو – لإظهار مكانة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ونسبه الشريف.

ويقرأ الأطفال كل يوم سورة (قريش)، وما ذكرتْه حول رحلتي الشتاء والصيف، ليعرفوا أن هاشماً هو من سنَّ لقريش هاتين الرحلتين: في الشتاء إلى اليمن والحبشة، وفي الصيف إلى الشام.

ثم يمضي الكاتب في استعراض النسب الشريف؛ عبدالمطلب (جدّ النبي)، ثم عبدالله (والده)، وآمنة (والدته)، ثم مولده صلى الله عليه وسلم، وذكر بعض الغزوات المهمة الفاصلة في تاريخ الإسلام، ثم ينهي هذه القصص بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهنا يُسدل الستار على أحداث الإسلام الكبرى في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

لقد تميزت هذه القصص بأسلوبها الواضح، وبترتيب الأحداث وتقريبها إلى عقول الأطفال بيسر وسهولة، ولقد لفت نظري فيها أحد العناوين وهو (النبي الصالح)، حيث أراد الكاتب من هذا العنوان أن يقدم دروساً تربوية للأطفال، فضرب مثلاً لأنس بن مالك وهو طفل، وقد خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينهره صلى الله عليه وسلم خلال تسع سنين قضاها أنس في خدمته، ويصل الكاتب من ذلك إلى نتيجة مفادها: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً"[1].

ويضرب – تحت هذا العنوان – أمثلة على رحمة النبي بالضعفاء، وكذلك عطفه على الحيوان، ومساعدته المحتاجين، وكرمه صلى الله عليه وسلم، ويتحدث – تحت هذا العنوان – عن الإيمان والإحسان والحياء.

القصص مختصرة في حجمها، سهلة في ألفاظها، تنحو منحى السرد في الغالب مع عدم إغفال مبدأ الحوار في مواضع من هذه القصص، بما يحقق التشويق.

رسالة هذه القصص تربوية، تصل إلى عقول الأطفال وقلوبهم واضحة، فتؤثر فيهم، وتزيدهم حبّاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولرسالته.

محمد رسول الله والذين معه

عبدالحميد جودة السحّار

هي سلسلة مكونة من (20) جزءاً، تبدأ بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وتنتهي بوفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وكأنه يستعرض التاريخ: إبراهيم، ثم هاجر المصرية أم العرب، ثم بني إسماعيل، ثم العدنانيين، ثم قريش. ومن قريش تبدأ سيرة نبي الله محمد، يفتتحها بسورة قريش: {لإيلاف قريش. إيلافهم

[1] القصص الديني / قصص السيرة للأطفال، ح 2، ص3.

رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا رب هذا البيت. الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف} [1-4]. ويتبعها بمقدمة أدبية جميلة، من اليمن:

"وقف (تبان أسعد) ملك اليمن في قصره ينظر إلى السماء، فإذا بالبرق يبرق بين السحاب كضوء لمع في الظلمات على صفحة الماء ما لبث أن خبا، وزمجر الرعد، وسرعان ما هطلت الأمطار وتدفق السيل على سفوح الجبال، فبدا كالأنهار تنحدر إلى سدّ مأرب"[1].

"وما لبثت الألوان أن تعاقبت على رقعة السماء في تناسق عجيب يلذّ الأعين ويملأ الأفئدة روحانية وانشراحاً، فاستشعر (تبان) أنه يندمج في الوجود، وأن روحه تسجد لخالق تلك الروعة وذلك الجمال" [2].

"وظل (تبان أسعد) ينظر وهو مشدوه تسبّح كل جوارحه لرب السماء، وتمتص نفسه رحيق النعيم، ويتألق وجدانه بالنور، فقد زيّن الله قلبه للإيمان وفضّله على كثير من العالمين"[3].

ما يميز هذه السلسلة، أن الكاتب يفرد كتاباً خاصّاً لكل حادثة؛ فقريش في كتاب، ومولد الرسول في كتاب، بل يُتْم الرسول في كتاب، وخديجة بنت خويلد في كتاب، وعام الحزن في كتاب، وهكذا، كأن الكاتب يريد أن يقول: إن كل كتاب يمثل عندي أهمية خاصة، وكان موضوعه يمثل مرحلة فاصلة ومنعرجاً مهمّاً في تاريخ السيرة النبوية، لذا ميّزتُ هذه الأحداث عن غيرها في كتب منفردة.

هذه السلسلة عمل روائي كامل، بل أضاف الكاتب إلى هذا العمل إشارات إلى أقوال الغربيين حول شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ووجدت مثالاً على ذلك في الكتاب المسمّى "دعوة إبراهيم" حيث يفنّد القول الذي يزعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يعاني من نوبات صرع خفيفة، في إشارة إلى الحالة الأولى التي انتابته وهو في الثانية أو الثالثة من عمره، حيث شُقَّ صدره، وعادت مرضعته حليمة به إلى أمه، وإلى الحالة الثانية، لما فَتَر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم، كما يتصدّى الكاتب لزعم (لينوكس مور) بأن النبي صلى الله عليه وسلم بسبب هذه الحالة أراد أن يتردّى من شواهق الجبال، فيفنّد زعمه من النواحي النفسية والعضوية.

وإن ما يميز هذه السلسلة أيضاً أن الكاتب يقدّم لكل كتاب بآية قرآنية تدل على موضوعه، وهو بذلك يتفرّد عن الروايات الأخرى.

---

[1] محمد رسول الله والذين معه، عبدالحميد جودة السحار، ج 5، ص 4.
[2] المصدر نفسه.
[3] المصدر نفسه.

"نور الله"

د. نجيب الكيلاني

الجزء الأول

هذه الرواية عكست الرؤية الإسلامية لوقائع السيرة النبوية، وشقّ صاحبها طريق أدب سُمِّي "الأدب الإسلامي"، وكانت رواياته – بالإضافة إلى هذه الرواية حول السيرة النبوية – – تعكس هذا التوجه الجليّ، وهذه المرجعية الواضحة، ومن ذلك روايته: (قاتل حمزة)، وروايته (عمر يظهر في القدس).

"تأتي محاولات نجيب الكيلاني في التوظيف الروائي لأحداث السيرة النبوية ليس فقط ليجلّي حدود المؤرخ والروائي كليهما في التعامل المتوازن مع الوقائع، لكن لتتحول هذه الوقائع إلى أحداث قصصية تشكل بنية فنية روائية، تجلّي توترات الشخصية، وتعكس الرؤية الإسلامية للأحداث الضخمة من خلال حركة النفوس الطاهرة والشريرة، المؤمنة والكافرة، وما خاضته الدعوة الإسلامية من تصدٍّ لأعدائها من المنافقين واليهود والكفار"[1].

جاءت رواية (نور الله) في جزأين، من سلسلة روايات الدعوة الإسلامية، يرى الكيلاني في مقدمتها أنه يحاول تقديم انعكاس نفسي للأحداث الضخمة؛ فالتوترات النفسية، والقلق الخالد، والإيمان الصامد، أشياء يجد الروائي الجاد فيها بُغيته.

لقد انطوت هذه الرواية على كثير من التزام الدقة، والصدق، والرجوع إلى عدد كبير من المراجع التاريخية.. وبلغت شخصيات هذه الرواية تسع عشرة شخصية تاريخية، وثلاث شخصيات موضوعة (غير حقيقية).

في هذين الجزأين يقدم الكيلاني عصر النبوة، فزمن الرواية هو: أيام بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومكانها: مكة والمدينة وبنو قينقاع وبنو النضير وقريظة.

احتوى الجزء الأول منها على خمسة وثلاثين فصلاً، ابتدأت من مكة: الدعوة إلى الرحيل إلى الحبشة بسبب أذى قريش، وانتهت في خيبر: اليهود يفكرون في حرب النبي محمد صلى الله عليه وسلم ثأراً لقريظة وحيي بن أخطب.

بداية القصة مثّلت حالة نفسية عارمة، مشهد مفارقة الديار.. هو مشهد مؤلم.. عمر بن الخطاب في قلبه.. يرى الراحلين فيتأثر لما آل إليه حالهم.. وترى (أم عبدالله) في وجهه رقّة غير

[1] في جماليات الأدب الإسلامي / النموذج والنظرية: د. سعد أبو الرضا، ص: 164.

مألوفة، حتى شعرت في قرارة نفسها أنه على وشك الدخول في الإسلام، وزوجها (أبوعبدالله) يضحك ساخراً: "لا يُسلم هذا الرجل حتى يُسلم حمار الخطاب"! [1].

حتى وإن كان عمر جبّاراً في الجاهلية، إلا أن الرواية نجحت في بيان الوجه الآخر لعمر.. نجحت في إبراز الشخصية في واقعها النفسي، فضلاً عن تفاعلها مع الأحداث.. عمر هذا توجد في قلبه مساحة للعاطفة، وفي عقله مساحة للتفكر.. حادثة الرحيل جعلت عمر في حالة توتر نفسي، كأنه يبحث عن الحقيقة.. يتحسس الأخبار.. يحاول أن يقترب من محمد.. يريد أن يتخلص من الشكوك التي تضطرم بها نفسه. هذا عمر الذي كان يشهر سيفه ساعياً لقتل النبي، أصبح هذا حاله، معرفة الحقيقة لا غير.!

لما سمع عمر أن أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد أسلما، فار دمه وثارت ثورته.. لكنه ما إن سمع الآيات من سورة (طه)، حتى هدأت ثورته، وكانت تلك حادثة أخرى أظهرت معدن عمر الحقيقي.. عمر الذي لا يعرف العناد في الباطل.. انجاب الضيق عن صدره فخشعت نفسه، وآبت إلى الحق، يصوّر الراوي روحه: "أنغام حلوة شجيّة تضجّ بها روحه.. مذاق جديد لحياة رائعة" [2].

كما لم يغفل الكاتب البعد الخُلُقي في شخصية عمر.. عندما سمع – عمر – أحد المشركين يقول: مرحى.. مرحى.. لقد قتلت محمداً.. "ألقى عمر بجسده المنهك المليء بالرضوض والسحجات، وظل جامداً ذاهلاً، ما معنى أن يحدث ذلك؟ وماذا يحدث للإسلام والمسلمين؟" [3].

مشهد آخر: صفية بنت حيي بن أخطب، الزعيم اليهودي المعروف.. تجادل أباها.. وتطلب إليه أن يستمع بهدوء لما جاء به محمد.. إنها بدايات انفراج أسارير وجهها لمحمد.

لكأنما مثَّل مشهد الرحيل، حالة نفسية انفعالية نحو تحرّي الحق، من قبل جبّار في قومه: عمر بن الخطاب (الجاهلية)، وصفيّة (اليهودية) بنت الزعيم..!

لقد نجح الكيلاني في جعل الحدث نابضاً بالحياة منذ البداية، وكأنه يقول لنا: البداية قوية، فيها حركة، وتفاعل، وانفعالات، ومشاعر.. إن شخصياتي في الرواية تصنع الحدث، بل تصنع التاريخ.!

اليهود:

[1] نور الله، د. نجيب الكيلاني، ج 1، ص 18.
[2] المصدر نفسه، ص 33.
[3] المصدر السابق، ج 1، ص 118.

احتل اليهود في رواية "نور الله" المساحة الكبرى، والحديث الأوفر، في دلالة واضحة على مدى حضور اليهود في أحداث السيرة، هذا العنصر الخطير الذي مثّل الكيد والصدّ، والنفاق والتحريض، ونقض العهود والمواثيق. الكيد والصدّ للدعوة الإسلامية منذ ولادتها، والنفاق والتحريض سرّاً وجهراً مع قريش ومن عاونها وسار في ركابها.. هم اليهود، في كل زمان وفي كل مكان.. جثموا على أنفاس الدعوة الإسلامية حتى آخر لحظة، وآخر نفس.. ملحظ جدير بالاهتمام.. من الفصل الخامس حضر اليهود في الرواية.. موقف صفية الذي ذكرنا آنفاً، ثم الفصل السادس: حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف يحرّضان ضد المسلمين، يريدان الوقيعة بينهم وبين قريش.

وما إن ينتصر المسلمون في معركة، حتى تشتعل رؤوس اليهود بالغضب والحنق، فيعيدون كرّة التحريض مرة أخرى.

بل لقد استهل الكاتب روايته هذه بآية قرآنية، أراد أن يؤكد هذا الحضور الكبير لليهود في هذا الصراع المرير: **{لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا..}** [المائدة: 82].

وإنك لتشعر وأنت تقرأ هذه الرواية بهذا الصراع المحتدم الذي لا يتوقف لحظة.. إنها مسألة حياة أو موت.. إما الهزيمة الحاسمة الساحقة تحلّ بالمسلمين، وإما الصَّغار والشَّنار والذلة لليهود وقريش..

في هذا الجو المشحون بالدماء.. تشعر بجولة صراع إثر جولة.. وتستشعر جهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَنْ معه من المسلمين، وهم يكسبون الجولة تلو الأخرى، بعد أخذ وردّ، ودفع وصدّ.. بنو قينقاع ثم بنو النضير، ثم بنو قريظة.. جندلهم الإسلام، إما محاصرون، أو مبعدون، أو مقتولون... قصم غرورهم، وأذلّ سلطانهم..

من أشدّ ما استوقفني في الرواية شخصية امرأة يهودية (موضوعة) غير حقيقية، اصطنعها الراوي الكيلاني، فجعلها ضمن شخصيات الرواية الفاعلة، حيث أضفت جوّاً نفسيّاً هائلاً في الرواية، بالإضافة إلى لغة قوية، ووصف واضح، وحوار مقنع، بينها وبين قومها اليهود، الذين نالوا من لسانها ما لم ينالوه من أحد غيرها، ممزوجاً ذلك بمناجاة تحمل في طياتها الإحساس بالألم والهزيمة؛ هزيمة بني قينقاع واستسلامهم في المدينة بعد حصار الرسول لهم خمسة عشر يوماً، وقبيل تداعيات هزيمة بني النضير، وإخراجهم من المدينة..

هذه المرأة التي كانت مقيدة بالحبال في ساقيها ويديها عند بني النضير، تسبُّ وتصيح، وكأنها تستفزّ اليهود وتستصرخهم أن يفهموا الدروس ويتعلموها: "أيها الأوباش، ماذا تفعلون؟ أنتم لم تذوقوا ما ذقناه، ولم تجرّبوا مرارة الضياع الذي شعرنا به.. أنتم هنا تعيشون بين الماء والنخيل والظلال، وتشربون اللبن وتغتسلون وتمرحون.. لكن لا تعرفون كيف كان مصير بني قينقاع.. إنكم ترتكبون اليوم نفس الحماقة.. أيها الأغبياء، يا حثالة بني إسرائيل.. ما أصابكم ضرّ، ولا لحقت بكم كارثة إلا وكنتم المسؤولين عما جرى لكم.. إن تصرفاتكم البلهاء تجرّ عليكم الوبال دائماً.. أتُرى كانت الخسة والنذالة لصيقة بجنس دون جنس؟! لا أظن ذلك، إن تشابهكم في السفالة ليس مردّه عنصرنا اليهود فحسب، ولكن مردّه للأفكار الدينية المزيفة التي نرضعها مع ألبان الأمهات منذ الصغر.."[1].

"كلما ذكرتُ بني قينقاع، غلى الدم في عروقي، وسالت دموعي، ودقّ قلبي من الجزع والرعب.. يا لها من لحظات.. في بعض الأوقات يأخذ الحنين إلى الوطن في الجَيَشان والتسلط، فيطمس لذة الحياة.. ويمضي الرجال في الطريق الحارق.. الجاف.. وعدد من الأطفال والنساء، يمضون حيارى تعساء.. أيها المجانين !! ماذا تفعلون؟! إن قتل محمد خطيئة كبرى، احذروا يا أبناء اليهود.. يا خراف بني إسرائيل الضالّة.. إننا نحفر قبورنا بأيدينا.. يا حكماء اليهود، أنتم ملعونون ملعونون" [2].

ثم يصيح أحد الحراس: "ألا تكفّين عن الثرثرة؟ لسوف نضطر إلى حشو فمك بالتراب، أيتها المتمردة الجميلة.."[3]. تردّ اليهودية: "أنتم؟ يا حثالة الرجال ! إليّ بجرعات من الماء وإلا بصقتُ على وجوهكم !!" [4].

وصف المرأة اليهودية لقومها لا يجاريه وصف.. أصابت حين أدانت، وحين أبانت !!

وفي موقف آخر، انطلاق المسلمين إلى حصون بني قريظة، أخذت اليهودية ترمق الزحف الصاعد، والدموع على خدّيها: "هذا يوم الحساب، الحزن يجلّل الديار.. والنداء الجديد يرجّ الأنحاء، ويتردّد صداه بين الأروقة.. الله أكبر.. صدق وعده.. ونصر عبده.. وأعزّ جنده.. وهزم الأحزاب وحده.."[5] وهمست في أذن جارتها: "انظري إلى عمر بن الخطاب.. هذا الرجل الفارع الطويل.. إنه يرفع يديه إلى السماء.. حيث يوجد قلبه.. لقد صدق قرآنهم حينما قال: {من المؤمنين رجال

---

[1] المصدر السابق، ج1، ص 138.
[2] المصدر السابق، ج1، ص 139.
[3] المصدر نفسه.
[4] المصدر نفسه.
[5] المصدر نفسه، ص 247.

صدقوا ما عاهدوا الله عليه} [الأحزاب: 23]، فقالت جارتها وهي تجفّف دموعها: "إنهم لم يسوقونا إلى دينهم على الرغم منا.. لقد تركوا لنا حرية الاختيار.. لكن ما قيمة الحياة بعد أن فقدنا الزوج والولد.. لقد شربنا كأس الهوان المرّ المذاق"[1].

وكأني – هنا – بالقاص الكيلاني، يريد أن يرسل رسالة دعوية إلى غير المسلمين، يقول لهم ما قال رب العزة: {لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ} [البقرة: 256]، {لكم دينكم ولي دين} [الكافرون: 6]، لا إجبار على الدخول في الإسلام، لكم – يا من تخالفون دين الله – حرية الاختيار، فلماذا العداء لدين يضمن لكم في ظله العيش الكريم؟! هذا ملحظ دعوي من القاصّ جميل..

وملحظ آخر: اليهودية تردّد ما يردّده المسلمون.. الله أكبر.. صدق وعده.. ونصر عبده.. وأعزّ جنده.. وهزم الأحزاب وحده.. وتتلو: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه..}، وقد تكرر ذلك في مواضع أخرى من القصة، ما يشي بأن هذا الدين قد فرض نفسه على الجميع، فنفذ بقوة إلى هؤلاء الكافرين، فتُليت كلماته وآيات القرآن على ألسنتهم، وإن كانوا لا يؤمنون بها.. وكأني بالقاص، انطلاقاً من عاطفته الدينية، وإحساسه المفعم بحب دعوة الإسلام، يريد أن يفرض هذه العبارات على ألسنة الكفار، شعوراً منه بعزة الإسلام وفخراً بانتصاراته !!

وما أجمل قوله على لسان منادٍ للمسلمين: "وانطلق المسلمون إلى حصون بني قريظة وبيوتهم يرثون الأرض التي كتبها الله لهم"[2]. وكأنه على يقين بأن الأرض للمسلمين لا بد أن يحكموها، وقد جاء أوان الحكم والتمكين.. وهذا ملحظ ثالث..

وتردّ اليهودية على جارتها: "لقد أردنا نحن ذلك.. لماذا لم نثُر في وجه الرجال؟ لماذا لم نمنع وقوع الكارثة؟! كان الملعون حيي بن أخطب يزوّق لنا المنى، كلماته كانت كالسحر، وآماله الخادعة كانت خلابة.. فسرنا وراء السراب.."[3].

وتمتمت: "حتى تجلّت شمس الحقيقة، فأماطت اللثام عن حياة الزيف والخداع"[4].

ليس أفظع من تأنيب الضمير ! يفوق أحياناً العذاب الجسدي الأليم ! فالعذاب الجسدي، إما أن ينتهي بالموت، أو يتوقف نهائيّاً فتُشفى الجراح، تدريجيّاً، أما تأنيب الضمير فيبقى ثُلمة في النفس، لا يفارقها، يُخلَّد ما بقي نَفَسٌ يتردّد !!

---

[1] المصدر نفسه.
[2] المصدر السابق، ج 1، ص 247.
[3] المصدر نفسه.
[4] المصدر نفسه.

هذا الحوار الذي أداره الكاتب، أراد به وصف الحالة المتردية التي آل إليها اليهود، واليأس الذي أصاب قلوبهم، ومن هذا الموقف البائس لهم، موقف هزيمة بني قريظة على يد المسلمين، ومقتل زعيم اليهود حيي بن أخطب، يُسدل الستار على الجزء الأول من الرواية، التي لا يريد اليهودُ أن تنتهي بعد، ليستأنفوا عداءهم لمحمد ودينه من جديد، فجاء دور يهود خيبر، ليثأروا لقريظة وحيي بن أخطب، وابن الربيع يهدّد.. ويقول في شأن ابن أخطب: "لقد لاقى الله بطلاً شهيداً.. لقد سقط دفاعاً عن شرفه وشرف عقيدته" !![1].

لقد حاول الكاتب أن يصنع الشخصيات في قالب فني، غير منفكّة عن التاريخ.. إن براعته تكمن في توظيف شخصيات موضوعة مصطنعة لتحتكّ بشخصيات تاريخية حقيقية، فصارت حاضرة كأنها جزء منها لا تنفك عنها، وهذه براعة فنية عالية أتقنها الكاتب، وجعل القارئ قريباً منها دون أن يشعر أنها خارج سياق التاريخ والحقيقة.. فضلاً عن أن الكاتب أراد أن يوحي للقارئ بحقيقة مفادها: أن نور الله لا بد آت بعد معارك كيد وصدّ ومكر، ومحاولات إحياء الباطل الأرعن في مواجهة الحق الأبلج، فشكّل كل هذا إضافة فنية تعبيرية إلى الرواية، ووسيلة اتكأ عليها الكاتب للوصول إلى هذه الحقيقة: نور الله لا بد أن يهيمن على ظلمة الباطل مهما تطاول الباطل وتعجرف..

الجزء الثاني

تميز هذا الجزء بحوارات ماتعة، وأسلوب متفرّد. ولا يعني هذا أن الجزء الأول لم يكن كذلك، لكن تطور الأحداث، ودخول عناصر جديدة في الصراع، وتجدد أساليب الكيد والصدّ للدعوة الإسلامية، ومشاعر الكاتب التي صبّها في جمل وعبارات رائعة معبرة، وفكره الدعوي الذي انطلق منه، وبعد أن أماط اللثام عن حقبة تاريخية فاصلة في الدعوة الإسلامية في الجزء الأول من الرواية، وبعد أن شكّل له هذا الجزء يقيناً بنصر الحق، كل هذا جعل الجزء الثاني في إطار جوّ خاص، رغم أنه امتداد للجزء الأول، الذي كان الأساس في هذه الرواية؛ استناداً إلى الوقائع التاريخية التي ينبغي إيرادها مرتبة ومتتابعة.. ومن هنا جاء هذا الجزء انطلاقة واثقة نحو مواصلة الطريق، للوصول إلى خاتمة المطاف: قهر التحديات، وحمل نور الله إلى شتى الأرجاء.

احتوى الجزء الثاني على واحد وأربعين فصلاً، ابتدأت من حوار بين زينب بنت الرسول وزوجها أبي العاصي ابن الربيع، وانتهت بدخول الرسول صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة.

---

[1] المصدر السابق، ج1، ص 253.

في بداية الفصل الثاني أورد الكاتب على لسان عبدالله بن أبيّ هذه العبارة: "وبدا لي المسلمون كفئران سقطوا في مصيدة قاتلة لا نجاة منها"[1].. كنت أود لو أن الكاتب تجنّب كلمة (فئران) في حق المسلمين، حتى ولو أجراها على لسان عبدالله بن أبي..

إن من أجمل الحوارات في هذا الجزء، الحوار الذي ورد في الفصل الرابع وضمّ كلاًّ من: عمر بن الخطاب، وسلمان الفارسي، ونعيم بن مسعود، وأبي العاصي بن الربيع, وتَوْقِهم إلى مكة..نجد فيه الوجه الآخر الذي يتّسم بالطرفة والبسمة واستثمار وقت الراحة والدعة والمرح في أتون جهاد طويل.. عندما تحدث نعيم بن مسعود عن أن أهل مكة قد ضاقوا ذرعاً برجالات قريش ومنطق أبي سفيان.. قال عمر بن الخطاب لنعيم: "لقد أصبت كبد الحقيقة يا نعيم.. ولست عندنا بمتّهم..!"[2] ضحك الجميع؛ لأنها نفس العبارة التي قالها اليهود، وهي نفسها التي قالتها قريش وغطفان لنعيم عندما ذهب إليهم ليوقع بهم في تيه الشك.

تحدث أبو العاصي عن بوادر تمرد وثورة في مكة على قادتها..

فقال: نعيم بن مسعود: "صدقت يا أبا العاصي.."[3].

أما سلمان الفارسي فقال في مرح: "ولست عندنا بمتّهم!"[4].

فضحك الجميع ثانية.

عمر يبكي ويسأله نعيم: "علام تبكي؟" [5].

قال عمر: "على ما مضى من جهالة وحماقة.."[6].

أراد نعيم أن يعيد جوّ المرح والدعابة من جديد، فقال: "صدقت.. ولست عندنا بمتّهم!"[7] فضحكوا جميعاً.

إضافة ذكية من الكاتب أضفت نكهة خاصة، تشعر القارئ بأن عظماء الإسلام – كما كانت مظاهر الجدية تلازمهم، بسبب تحديات الدعوة – كانوا يتّسمون بروح الدعابة الجميلة التي تلطّف الأجواء، وتزيل الجمود، في رسالة واضحة أن المسلم الحقيقي هو ليس المسلم المتجهّم العابس، لكنه الذي يحمل بين جنبيه – رغم أثقاله الجسام – جمال الروح، ولطف المعشر.

---

[1] نور الله، د. نجيب الكيلاني، ج 2، ص 13.
[2] المصدر نفسه، ص 26.
[3] المصدر نفسه.
[4] المصدر نفسه، ص 27.
[5] المصدر السابق، ج2 ص 29.
[6] المصدر نفسه.
[7] المصدر نفسه.

ظاهرة أبي بصير:

عندما استنار له وجه الحق، عرف أبو بصير أن العبودية لغير الله هبوط بالإنسانية إلى حمأة الأرض، زاده اقتناعاً بذلك محمد صلى الله عليه وسلم، الذي اشتاق لرؤيته، ورنا إلى الحرية التي جاء بها، ونثر أريجها بين المعذّبين.. هرب من مكة إلى المدينة ليحظى بشرف لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم دون موافقة قومه، مخالفاً بنود اتفاقية صلح الحديبية.. ما حدا بقريش أن ترسل رسولاً لمحمد صلى الله عليه وسلم من بني عامر لإحضار أبي بصير، "وأبو بصير جالس وهو لاهث الأنفاس، مضطرب الأعصاب، لا يكاد يتصور ما سيحدث، وأخيراً قال الرسول: يا أبا بصير، إنا أعطينا هؤلاء القوم ما علمت، ولا يصح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك. هبّ أبو بصير واقفاً وقد شحب وجهه، وارتجفت أوصاله وقال: يا رسول الله، أتردّني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ إنهم لن يرحموا مولى هارباً من كفرهم وفسادهم" [1].

وفي طريق العودة يرى أبو بصير العامري يستخف بإنسانيته.. يقول لأبي بصير: "أأنت مثلي؟" [2] أبو بصير: "لا فرق يا عامري بيننا.. كلنا لآدم وآدم من تراب"[3]، "لكنّ أبا بصير أفاق على ضربة قوية، وجّهها إليه العامري بقبضة سيفه، فأصابت أنفه وأسالت دمه" [4].

هذه الحالة النفسية التي يصورها الكاتب لأبي بصير، من الأهمية بمكان، فهو متأثر جدّاً لما آل إليه حاله، ولكنه لا ينسى أن يبحث لأبي بصير عن مخرج.. ويبدو أن مخرجه في افتعال أزمة مع مرافقه العامري، فقلبُه المعلّق بالمدينة، وخطواته المتردّدة إلى مكة تشي بذلك، وحواره مع العامري يتواصل.. أراد أبو بصير أن يلقّنه درساً في الحياة، حين تحسّس الدم الذي ما زال يتقاطر من أنفه، فرمى العامري الخائف بنظرة حارقة: "الآن أستطيع أن ألقّنك درس الحياة، كي تعلم أن الموالي والعبيد بشر مثلك، وأنهم قد يفوقونك إنسانية ونبلاً وقوة"[5].

قال العامري وهو يرتجف: "تريد أن تقتلني، إنني أطلب الرحمة" [6].

أبو بصير: "أيها الثعبان.. الموالي والعبيد لا يملكون فضيلة.. إن بقاء مثلك على قيد الحياة انتكاس للإنسانية"[7].

---

[1] المصدر نفسه، ص 136.
[2] المصدر السابق، ج2، ص 139.
[3] المصدر نفسه.
[4] المصدر نفسه.
[5] المصدر نفسه، ص 140.
[6] المصدر نفسه.
[7] المصدر نفسه.

العامري: "يا أبا بصير.. أنت أحقر من أن تفعلها.."[1].

"غلى الدم في عروق أبي بصير، وطافت سحابة حمراء بعينيه، ورفع سيفه، وأهوى به على عنق العامري الذي تهاوى إلى الأرض ينزف دماً،"[2] وجلس أبو بصير إلى جواره متكئاً على السيف والعرق يتقاطر على جبينه الأسمر: لم أكن أريد قتلك أيها الأحمق، كنت أنوي الذهاب بعيداً لا غير، كلماتك كانت أقسى من الحراب على قلبي.. حقّرتَ إنسانيتي.. حاولتُ إرضاءك جاهداً، ونطقت بما لا أومن به، لكنك كنت وغداً جاهلاً، كنتَ ألعن أداة في أيدي شياطين مكةَ أيها المغرور.. أنا ما قتلتك.. ولكني قتلت الظلم والانحراف والقيم المتعفّنة".

لغة قوية صاغها الكاتب تجري على لسان أبي بصير، ففوق المبدأ الذي أراد أن يرسّخه الكاتب وهو (الحرية)، تجد تحليلاً نفسيّاً لحالة أبي بصير بعد قتله العامري، وإنسانيته الجميلة، فأبوبصير لم يدر بخلَدِه قتل العامري، لكن الأخير استفزّه أيما استفزاز بكلمات جارحة.. فكان ما كان.

انظر إليه كيف يصف: (طافت سحابة حمراء بعينيه)، (كنت ألعن أداة في أيدي شياطين مكة)، (أنا ما قتلتك، ولكني قتلت الظلم والانحراف والقيم المتعفّنة) [3].

أبو بصير مرة أخرى، يمرّغ شرف الكبار في الرغام:

لقد صنع الكاتب من مسألة أبي بصير حواراً بين عكرمة وخالد.. فعكرمة يريد أن يجرّد لأبي بصير جيشاً، وخالد يستخفّ برأيه.. عكرمة يدقّ الأرض بقدميه ويقول: "أنستسلم لمولى آبق تافه؟"[4]، "أنحمل الهدايا والقرابين، ونتقدم خاشعين راكعين لابن اللئيمة؟"[5]... ما قاله عكرمة يصف الهزيمة النفسية التي ألمت برجالات قريش بسبب أبي بصير.. ويأتي الجواب الصاعق من خالد: "افتحوا الطريق أمام الناس، فمن شاء فليبق معنا، ومن شاء فليذهب إلى محمد.. دعوا الناس يختارون: إنه حقهم المقدس"[6].. بل يذهب خالد بعيداً جدّاً حين يقنع أبا سفيان بالتنازل عن شرط ردّ الهاربين إلى المدينة دون موافقة سادتهم، ليظل طريق التجارة إلى الشام مفتوحاً، هذا الطريق الذي قطعه أبو بصير على قريش.

---

[1] المصدر نفسه.
[2] المصدر نفسه.
[3] المصدر السابق، ج 2 ، ص 140.
[4] المصدر نفسه، ص 144.
[5] المصدر نفسه، ص 145.
[6] المصدر نفسه.

لكنّ هنداً – زوجة أبي سفيان – تصرخ محتدّة: "كنت واثقة أن صلح الحديبية لن يجني ثمرته سوى محمد"[1].

وهكذا أراد الكاتب أن يوصلنا إلى نتيجة مفادها: لقد انتصر أبوبصير حين انتصر لإنسانيته، وانتصر مرة أخرى حين انتصر لدعوة الإسلام، بدافع من الحب الفائض لرسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، فأصرّ على مواجهة ظلم قريش، ما حدا بقريش في النهاية — حرصاً على دوام تجارتها إلى الشام – أن تتنازل عن شرط من شروط صلح الحديبية، ما يعني أنه انتزع حريته وحرية الضعفاء مثله من تحت قريش انتزاعاً.. وهكذا يوصلنا الكاتب إلى نتيجة أخرى مفادها: أن رجالاً ملأ قلوبهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم وازدادوا اقتناعاً بالإسلام فكرة ومنهاج حياة، لابد أنهم واصلون في نهاية المطاف إلى النصر والتمكين بإذن الله.

وصف رائع لأحد رجالات الكفر:

أراد الكيلاني أن يوظّف أدواته اللغوية، لإقناع القارئ بأن من يحاربون الدعوة الإسلامية، لا يمكنهم أن يستمروا في ذلك، ونستشفّ ذلك من وصف (لؤلؤة)، معشوقة (الحويرث) أحد قادة الكفر، الذي يتردّد عليها دائماً، بما يشعرنا بأن مثل هذه القيادات الفاسدة لا يمكن أن تنتصر، وعقولها تغيب فترات طوالاً عن مشهد الحياة الزاخر، تلبية لشهواتها، فها هوالكاتب يصف (الحويرث) على لسان (لؤلؤة): "كل شيء تعرفه عنه، حياته، أفكاره، حديثه عن زوجه، وثورته على محمد، وقلقه البالغ على مستقبله المهدور، يبدأ عادة بحديث متوتر، وسخط على رجالات مكة، وحنق على أفكار المسلمين، وإبانة عن عجزه ويأسه، أو محاولة لخديعة نفسه فيحلم بالنصر، ثم يقبل على كؤوس الخمر في نهم بالغ، يسرع إليها كما يفرّ الطفل إلى حضن أمه عند الروع، أو كما يلهث الغريق نحو غصن جاف تتقاذفه الأمواج، ظنّاً منه أن في هذا الغصن نجاته، وما إن تمتلئ معدته بالشراب، وتتجمع أبخرة السكر في رأسه حتى يستحيل إلى حيوان.. إن أسعد وأحلى لحظات عمره هي فترة الحيوانية تلك.. ليته لا يفيق منها.. ذلك هو (الحويرث)"[2].

وأقصى ما يقوله قائد فاسد، راكع أمام شهوته البهيمية": "قولي ما شئت، وارميني بأية صفات سيئة، قولي عني: مجرد من اللياقة والخلق.. فأنا لا أستطيع الابتعاد عنك مهما كان الأمر"[3].

إن أجمل ما في هذه الرواية، أن الكاتب الدكتور الكيلاني، يشعرك نفسيّاً ووجدانيّاً وأنت تقلّب صفحات روايته صفحة صفحة، أن سيصل بك إلى "نور الله" لا محالة، وما مشهد الذهاب إلى

[1] المصدر نفسه، ص 146.
[2] المصدر السابق، ج 2، ص 228.
[3] المصدر نفسه.

فتح مكة إلا دليل على ذلك، عشرة آلاف مقاتل.. عمر: "يا صحابة رسول الله، كان طبيعيّاً أن ينقُضَ المارقون والمنحرفون العهد، فالأوبئة لا تلد إلا الموت، وطغاة مكة لا تنبي تصرفاتهم إلا عن الحقد والعسف والفساد، وما فعله بنو بكر، ومؤازرة قريش لهم في عدوانهم على حلفائنا الخزاعيين، ليس إلا حدثاً متوقعاً، ومحصلة للصراع.. وقيامنا لرد العدوان، ووضع الأمور في نصابها، وفتح الطريق أمام نور الله، أمر تفرضه عقيدتنا.."[1].

ويختم الكيلاني روايته:

"وبعد أن أتم الله الفتح (فتح مكة)، وأقيمت الشعائر، وتوافد أهل مكة ليعلنوا إسلامهم.. دخل محمد مكة.. ودخل في ركابه التاريخ، وقد فتح سجلّه الكبير ليسجّل إلى الأبد أروع قصة خالدة.. القصة التي تمتد عبر القرون والأجيال، تقهر التحديات، وتحمل نور الله إلى شتى الأرجاء"[2].

سمات رواية نور الله

أولاً: أسلوب الحوار في الرواية بارع، حقق فيه الكيلاني ثلاثة جوانب:

1- وصف الحالة النفسية للشخصية وصفاً دقيقاً، حيث يتلو على لسانها ما يعبّر عن شخصيتها.

2- اللغة الأدبية القوية التي أجادها، والتي أسهمت في التفاعل مع النص وتحقيق الإمتاع والإقناع، وأمثلة ذلك:

"يمضي الموكب وسط آلاف الجنود، والنيران المتقدة تنعكس ظلالها الحمراء على الوجوه المشرقة المؤمنة التي لفحتها الشمس"[3].

"الليل ممتدّ فاحم ينبض بالأسى المرير"[4].

"الذكريات الآثمة تطفح على سطح فكره المائج"[5].

"عندما يشاء الله تنطوي إرادة البشر تحت مشيئته، وتتواكب الأحداث لإنفاذ أمره، وينجلي صراع الحق والباطل عن هزيمة ماحقة لما هو ضد الطبيعة والعدل" [6].

---

[1] المصدر السابق، ج2، ص 245.

[2] المصدر نفسه، ص 261.

[3] المصدر السابق، ج2، ص 252.

[4] المصدر نفسه، ص 243.

[5] المصدر نفسه.

[6] المصدر نفسه، ص 245.

"أبو سفيان يرفع إلى الرسول عينين محتقنتين"[1].

3- عرض الأفكار كما هي في الواقع، وتقديم وجهتي النظر أمام القارئ، ليصل به في النهاية إلى الاقتناع بوجهة النظر الصحيحة، التي تتفق مع فكرة الرواية وعنوانها: "نور الله".

ثانياً: الشخصيات:

1- الشخصية الواقعية المقنعة: "فعنده – أي الكيلاني – يجب أن تكون الشخصية قريبة من الواقع، مقنعة مكتملة الملامح والسمات التي تجعلها مقبولة عند المتلقي"[2].

2- البطل لا لون له: يقول الكيلاني: "البطل في الأدب الإسلامي ليس حكراً على طبقة اجتماعية دون أخرى. شخصية البطل قد تكون بلال بن رباح العبد الحبشي، وقد تكون أبا بكر الصدّيق خليفة المسلمين، وقد تكون سلمان الفارسي، أو حمزة بن عبدالمطلب القرشي، وقد تكون سمية أو غيرها من النساء، وقد تكون فتى يافعاً أو شيخاً مسنّا[3]..

3- البطل المؤثر:

"وعلى هذا فالبطل تجسيد لفكرة يرى الكاتب إبرازها لتؤدي دوراً تمتزج فيه المنفعة بالمتعة لدى المتلقي فيتفاعل معها ويتأثر بها. والمنفعة والمتعة وما يندرج تحتهما هي الأسس التي تقوم عليها فكرة انتخاب البطل في الأدب الإسلامي، والذي يمثله نجيب الكيلاني، وحرص على تقديم نماذج متعددة له".[4].

ثالثاً: شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وأثره:

أظهر الكيلاني في روايته (نور الله) أثر الرسول صلى الله عليه وسلم في نفوس أصحابه وحبّه لهم وحبّهم له. وتناول الجوانب المضيئة في حياة الرسول، من ذلك الشورى وعدم الاستئثار بالرأي، وحسن القيادة، والحضور في مقدمة الصفوف، مما كان له تأثير بالغ على نفوس من حوله.

وقد تحدّث في بداية الرواية (الجزء الأول) عن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم على لسان أبي عبدالله، أحد المهاجرين إلى الحبشة، الذي قال: "ومحمد يا أم عبدالله، رجل طيب شريف صادق، ليس في يديه سوط ولا يسوق الناس بالقهر والإذلال"[5].

[1] المصدر نفسه، ص 253.
[2] الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني .. دراسة موضوعية وفنية، د. نادر أحمد عبدالخالق، ص: 101.
[3] مدخل إلى الأدب الإسلامي: د. نجيب الكيلاني، ص: 33،34، بتصرف.
[4] الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني: د. نادر أحمد عبدالخالق، ص: 103.
[5] نور الله، د. نجيب الكيلاني، ج 1، ص 13.

وينقل الكاتب قول عمر بن الخطاب في الجزء الأول – وهو يعيش حالة الحيرة والتفكير في أمر محمد –: "لقد سُحتُ في شتى أنحاء الأرض، قابلت الملوك والحكماء، وناقشت النصارى والمجوس، وسمعت الكثير من الرهبان والكهّان وأحبار اليهود.. كلهم كانوا يعيشون في عالم ضيق مغلق أعمى.. برغم صدقهم في بعض ما يقولون.. لكنّ محمداً شيء آخر، أرى في عينيه صفاء الأطهار، وعلى وجهه عزيمة الرجال الأحرار، وعلى ملامحه السمح نور الله.."[1].

قال القاصّ نجيب الكيلاني في ختام روايته التي انتهت بدخول محمد والمسلمين مكة المكرمة فاتحين: "وعلى الرغم من انتهاء الرواية، إلا أن جزءاً كبيراً من سيرة الرسول بعد الفتح لم نتناوله بعد، وكنت بين أن أعدّ جزءاً ثالثاً لتكملة الرواية وبين أن أترك الأمر لكي أختار بعض المواقف والشخصيات الهامة لأفرد لها أعمالاً قصصية، مستقلة، تغطي الفترة الباقية". في إشارة إلى قصة "قاتل حمزة".

سيرة خاتم النبيين (للصغار)

أبو الحسن علي الحسني الندوي

اعتمد الكاتب في تأليفه هذا الكتاب على تلخيص السيرة النبوية لابن هشام، مستنداً في ذلك إلى بعض المراجع القديمة وكتب الصحاح.

وقد ذكر في مقدمته أن هذا الكتاب "قد أُلّف للصغار الناهضين لا للباحثين والمحققين"[2]، كما هو "جدير بأن يدرسه الصغار المراهقون في مدارسهم، ويقرأه الكبار المتوسطون في مكتباتهم ومنازلهم"[3].

قبل أن يشرع الكاتب في عرض السيرة النبوية المطهرة، مهّد لها بالحديث عن العصر الجاهلي، حيث استعرض الديانات قبل الإسلام؛ فالمسيحية "فقدت روحها وشكلها، فلو بُعث أصحابها الأولون وأنبياؤها المرسلون لأنكروها وتجاهلوها"[4]. واليهودية "ديانة سلالية لا تحمل للعالم رسالة، ولا للأمم دعوة، ولا للإنسانية رحمة"[5]. والمجوس "لا فرق بينهم وبين من لا دين لهم ولا خلاق، في الأعمال والأخلاق"[6]. والبوذية "وثنية تحمل معها الأصنام حيث سارت"[7] والعربة "ابتُلوا في العصر

---

[1] المصدر السابق، ج 1، ص 24.
[2] سيرة خاتم النبيين، أبو الحسن الندوي، ص 7.
[3] المصدر نفسه، ص 8-9.
[4] المصدر نفسه، ص 12.
[5] المصدر نفسه.
[6] المصدر نفسه، ص 13.
[7] المصدر نفسه.

الأخير بوثنية سخيفة، فاتخذوا من دون الله آلهة" [1]. و"كانت الإنسانية في عصر البعثة في طريق الانتحار".

حتى جاء مولد النبي الهادي: "ألواح قلوبهم — أي العرب – كانت صافية، لم تُكتب عليها كتابات دقيقة عميقة، يصعب محوها وإزالتها، شأن الروم والفرس وأهل الهند، الذين كانوا يتيهون بعلومهم وآدابهم الراقية، ومدنياتهم الزاهية، فكانوا مهيئين لتقبل نور الدعوة الجديدة، أما العرب فلم تكن على ألواح قلوبهم إلا كتابات بسيطة خطّتها يد الجهل والبداوة، ومن السهل الميسور محوها وغسلها، ورسم نقوش جديدة مكانها "[2].

وهذه المقدمة عن مرحلة ما قبل الإسلام مفيدة للصغار، لأنها تفتح آفاقهم على بزوغ النور بعد الظلام، هذا النور المتمثل في مبعث النبي الخاتم الذي سينقذ البشرية من هذا الظلام.

ثم يستعرض الكاتب المراحل التالية:

– قبل البعثة: من إبراهيم وإسماعيل وبناء الكعبة إلى حلف الفضول.

– بعد البعثة: منذ الخلاء في شعاب مكة وبطونها وأوديتها، وتعبّد النبي في غار حراء إلى مبعثه إلى الهجرة النبوية الشريفة.

– في المدينة: من استقبال المدينة (يثرب) رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة مؤتة، وكانت هذه مرحلة غزوات وجهاد.

– فتح مكة: حين أتم الله أمره في دينه وعباده، أراد لمحمد والمسلمين دخول مكة، ليطهّروا الكعبة من الأوثان، ولتصبح مكة مثابة للناس وأمناً، إلى أن توفي النبي صلى الله عليه وسلم.

الكتاب، ورغم اعتماده الأسلوب السردي الواضح في عرض السيرة النبوية، ويختلف في ذلك كثيراً عن كتاب القصص الديني (قصص السيرة للسحّار)، إلا أن أسلوبه سهل ميسور، ومعلوماته مستوفاة، يمكن للفئات الذي ذكرها الكاتب في مقدمته أن تقف على فهمه، وأن تخرج بالفائدة المرجوة منه.

في نهاية البحث

وجدت من خلال الفن القصصي معرفة بالسيرة أكثر مما أقرأ من كتب السيرة، وقد حفظت أسماء شخصيات لم أسمع بها من قبل وجدتها في هذه القصص، مما يدل على أن الأسلوب القصصي الذي يحقق الإمتاع والتشويق لا يقل شأناً عن أسلوب السرد التاريخي، إن لم يتفوق عليه.

---

[1] المصدر نفسه.

[2] المصدر نفسه، ص 15-16.

ووجدت أن أفضل من كتب في السيرة النبوية في الجانب القصصي – مما ذكرنا من الكتب – هو الدكتور نجيب الكيلاني في روايته "نور الله"؛ نظراً لالتزامها الصدق، والدقة، وتضافر عناصر القصة بشكل متكامل، وأسلوبه المتفرد، ولغته القوية، وقدرته الفائقة على الوصف، بالإضافة إلى الرسالة التي أراد أن يوصلها إلى القارئ؛ رسالة السيرة النبوية المشرفة، لأغراض الاعتبار والاتعاظ، ودعوة الأمة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم للاقتداء بها والسير على منوالها.

ولقد مررت على إبداعات (علي أحمد باكثير) الإسلامية، فوجدت ما كتبه حول السيرة النبوية محدوداً جدّاً، ومن ذلك مسرحيته "شادية الإسلام"، وهي تخص الجهد المسرحي، وكنت أودّ لو أنني أجد شيئاً في القصة حول السيرة النبوية لهذا الكاتب الإسلامي الغيور.

انتهى بحمد الله

المصادر والمراجع

1- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي النمري، دار الأعلام، عمان – الأردن، ط1، 1423هـ/2002م.

2- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض – السعودية، ط 1، 1417هـ - 1996م.

3- سيرة خاتم النبيين، أبو الحسن علي الحسني الندوي، مؤسسة الرسالة (ناشرون) – بيروت – لبنان، ط 1، 1422هـ - 2001م.

4- الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني / دراسة موضوعية وفنية، د. نادر أحمد عبدالخالق، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.

5- القصص الديني / قصص السيرة (للأطفال)، عبدالحميد جودة السحار، مكتبة مصر.

6- القصص في الحديث النبوي / دراسة فنية وموضوعية، د. محمد بن حسن الزير، دار المدني للنشر والتوزيع – جدة، ط 3، 1405هـ - 1985م.

7- على هامش السيرة، د. طه حسين، ثلاثة أجزاء، دار المعارف، القاهرة – مصر، 1964م.

8- في جماليات الأدب الإسلامي / النموذج والنظرية، د. سعد أبوالرضا، المجموعة المتحدة للطباعة، القاهرة، ط 1، 1417هـ - 1996م.

9- محمد رسول الله والذين معه، عبدالحميد جودة السحار، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط (1966 – 1970).

10- مدخل إلى الأدب الإسلامي، د. نجيب الكيلاني، كتاب الأمة، الكتاب الرابع عشر، مكتبة مشكاة الإسلامية، الدوحة – قطر.

11- الوعد الحق، د. طه حسين، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط 28، 1976م.

12- نور الله، د. نجيب الكيلاني، جزءان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط 4، 1399هـ - 1979م.